الأزواج

لقد أَطْلَعَتْنا مجموعتان من الأزواج على تجربتهما في العلاقة الزوجية. تمَّ إدخال إحدى المجموعتين في الدراسة أثناء الثلث الثاني من الحمل (أي بين الأسبوع 14 والأسبوع 26). لأننا كنَّا مهتمِّين بمتابعة هؤلاء الأزواج طوال ما تبقى من فترة الحمل وطوال الشهور الأولى من عمر الطفل فقد سميّناها مجموعة الانتقال. بالمقابل تتكوَّن مجموعة المقارنة من أزواجٍ ذكروا أنهم لا يخطِّطون لإنجابِ أطفالٍ في المستقبل القريب.

المعايير التي تمَّ على أساسها اختيار المشاركين

تكوَّنت كلتا المجموعتين من أزواجٍ تزوَّجوا لأوَّل مرَّة وليس لديهم أولاد. هذه الشروط ضرورية لضمان التشابه بين المجموعتين سواءً من حيث الخلفيات (العمر ومدَّة الزواج) أو الحالة الراهنة للعلاقة بين الزوجين (الرضا عن التواصل بين الزوجين وعن العلاقة كَكُلّ) تمَّتْ مناقَشَةُ المقارنة بين المجموعتين بتفاصيل أكثر لاحقاً في هذا الفصل.

هناك سبب آخر جعلنا نقتصر على الأزواج الذين تزوَّجوا لأوَّل مـرَّة والذين سـينجـبـون لأوَّل مـرَّة وهـو أننا أردنـا أن تكون تجـربة الحـمل وإنجـاب الطفل الأوَّل جـديدة بالنسـبـة لجـمـيع الأزواج في مجـمـوعة الانتقـال وذلك لأننا كنَّا مهـتمِّين بمعـرفـة الكيفيَّـة التي يدركـون بهـا التـغيُّرات التي تجلبهـا هذه التجـربة الجـديدة وكيف سيتلاءمون مع هذه التغيُّرات. إن تركيزنا على إنجاب الطفل الأوَّل يعـتـمـد على إدراكنـا لحـقـيـقـة أنَّ إنجـاب طفلٍ جـديد هـو تجـربةٌ مختلفة تماماً عمّا إذا كان هناك أطفالٌ قَبْله. على سبيل المثال على الوالدين اللذين ينجـبـان لأوَّل مـرَّة أن يؤسِّسـا أنماطاً جـديدة من العـلاقة بينهـمـا وأن يتـعلَّمـا كـيف يتـلاءَمـان مع المتطلَّبـات الكثـيـرة للطفل الجـديد. بالمقـابل فـإنَّ المهـمَّـة التي تواجـه الوالدين اللذين أنجبـا من قَبْلُ تَحـمِل تحدِّيات مختلفة كالتعامل مع الأطفال الأكبر الذين قد يرون في الطفل الجديد منافساً لهم في المنزل.

تحديد الأزواج

في بداية الدراسة كان هنَاك 107 أزواج في مجموعة الانتقال و100 زوج في مـجـمـوعـة المقـارنة. بالنسْبـة لكلتـا المجـمـوعـتين استُخدمت عدَّة طرق للإعلان عن الدراسة وإشراك الأزواج فيها. على سبيل المثال، تمَّ الإعلان عن الدراسةِ من خلال المقابلات في الراديو والمقـالات في الصـحف والإعـلانات مـدفـوعـة الأجـر في الصـحف المحلية والمجـلاَّت المتـخـصِّـصة في موضـوعـات الحـمل ورعاية الأطفال.

تمَّ إشراك بعض الأزواج في الدراسة من خلال الدورات التي كانت تُعقد لطلاب علم النفس في مرحلة ما قبل التخرج حيث كان الطلاب يُشَجَّعون للتطوُّع كمشاركين في الأبحاث لكي يكتسبوا الخبرة المتعلِّقة بعَدَدٍ من طرق وموضوعات البحث. هذه المقاربة لم تكن تتضمَّن الطلاب فقط إذ عادةً ما كان الطالب واحداً من الزوجين في حين كان الزوج الآخر موظَّفاً بدوامٍ كامل.

معظم الأزواج الذين شاركوا في الدراسة من خلال هذه الطريقة كانوا من مجموعة المقارنة لأنَّ الأزواج لا يدخلون عادةً في دراسة جامعيَّة أثناء الحمل. استخدمنا أيضاً تقنية كرة الثلج لنزيد حجم المجموعة وذلك بِطَلَبنا من الأزواج أن يرشِّحوا أصدقاء لهم تنطبق عليهم معايير المشاركة في الدراسة ولديهم الرغبة في المشاركة.

لكي نُشركَ أزواجاً في مجموعة الانتقال استخدمنا عدداً من المؤسَّسات التي تُقدِّم خدمات صحيَّة أثناء الحمل كالمستشفيات النسائية وعيادات الرعاية ما قبل الولادة وبعدها وعيادات الأطباء النسائيين.

وأخيراً تواصلنا مع عَدَدٍ من المحلاَّت المتخصِّصة في بيع منتجاتٍ متعلِّقة بالأمومة ورعاية الأطفال وصمَّمنا ملصقات ونشرات تدعو إلى المشاركة في الدراسة.

ما صفات الأزواج الذين شاركوا في الدراسة؟

باستخدام عدة طرق لإشراك الأزواج في الدراسة سعينا إلى إشراك أزواجٍ ينتمون إلى خلفيَّاتٍ متنوِّعة. كما سعينا أيضاً إلى إشراك أزواجٍ يختلفون في تقييمهم لزواجهم بحيث لا تنحصر

نتائجنا في أزواجٍ يشعرون بالأمان والرضا في علاقاتهم الزوجيَّة ولا في أزواجٍ لا يشعرون بالسعادة في هذه العلاقة. لكي نقيِّمَ مدى نجاحنا في الحصول على عيِّنة متنوِّعة حدَّدنا خصائص الأزواج منذ بداية الدراسة. ركَّزنا بشكلٍ خاص على ثلاثةِ جوانب قد تؤثر على مرحلة الانتقال إلى الأبوَّة أو الأمومة: خصائص الخلفية وتقييمات العلاقة والموارد الشخصية والتلاؤم الشخصي.

خصائص الخلفيَّة

يتنوَّعُ الأزواج الذين شاركوا في الدراسة في الأعمار إذ تتراوح أعمار الرجال من 21 إلى 54 سنة وأعمار النساء من 19 إلى 47 سنة. كان متوسط الأعمار بالنسبة للرجال 30 سنة في حين كان متوسط الأعمار بالنسبة للنساء 29 سنة. كذلك يتنوَّع الأزواج بشكل كبير في طول فترة العلاقة بينهما منذ اللقاء الأوَّل إذ بلغت في أحد الأزواج 12 سنة بينما بلغت في زوجٍ آخر 28 سنة.

أما فترة الزواج فقد تراوحت ما بين شهر واحد إلى خمسة عشرة عاماً وبلغ متوسِّط هذه الفترة ثلاث سنوات ونصف.

إضافة إلى أنَّ الأزواج كانوا يتفاوتون في طول فترة العلاقة بينهما فقد كانوا يختلفون في أنماط علاقة الحب التي ربطتهما.

حوالي ثلثي الأزواج عاشوا معاً قبل الزواج وحوالي ثلث هؤلاء تقريباً بدؤوا بالعيشِ معاً في فترة متأخرة نسبية من العلاقة بينهم بعدما أعلنوا الخطوبةَ بشكلٍ رسمي. لم تكن علاقة الحب بين جميع الأزواج خاليةً من المشكلات فحوالي 20٪ منهم ذكروا أنهم

انفصلوا عن الطرف الآخر خلال العلاقة ما قبل الزواج بالإضافة إلى ذلك ذكر 40٪ من الأزواج أنهم مرّوا بفترة واحدة على الأقل كانوا بعيدين فيها عن الطرف الآخر قبل أن يستقرّوا في الحياةِ الزوجيَّة.

كذلك جاء الأزواج من خلفيات علميَّةٍ متفاوتة ففي أحد طرفي الطيف كان هناك 16 رجلاً و9 نساء لم يكملوا الدراسة الثانوية. على أي حال بما أن الأشخاص المتعلِّمين أكثر استعداداً للمشاركة في مثل هذه الدراسات فقد كان نصف النساء والرجال المشاركين حاصلين على شهاداتٍ جامعيَّة. كما هو متوقَّع بما أن معظم المشاركين في الدراسة يتمتَّعون بمستوياتٍ تعليميَّةٍ عالية فإن معظمهم يمتهنُ مهناً راقيةً نسبياً. حوالي نصف النساء والرجال المشاركين كانوا يشغلون مناصب إدارية أو علميَّة راقية. أما البقيَّة فقد كانوا موظَّفين في مهنٍ متنوَّعة. حوالي 10٪ من الأزواج و20٪ من الزوجات لم يكونوا في وظائف مدفوعة الأجر وكانوا إمَّا طلاَّباً بدوام كامل أو يعملون في المنزل أو غير موظَّفين في وقت الدراسة ليس غريباً أن معظم النساء في مجموعة الانتقال لم يَكُنَّ موظَّفاتٍ وبعضُهنَّ كنَّ قد تَرَكْنَ العمل مؤخَّراً استعداداً للولادة. تقريباً كل الأزواج الذين شاركوا في الدراسة كانوا من خلفيَّةٍ أنجلو أوروبيَّة والإنكليزية هي لغتهم الأم، الاستثناءات الوحيدة كانت ثلاثة أزواجٍ من خلفيَّةٍ هنديَّة لكن أيضاً كانت الإنكليزية هي لغتهم الأم. معظم المشاركين كانوا من الدِّين المسيحي بالاسم على الأقل وقليلٌ منهم كانوا ينتمون إلى أديانٍ أخرى في حين ذكر 20٪ منهم أنهم لا

ينتمون إلى أيِّ دين. (يحتوي الملحق ب على معلومات أكثر عن خصائص الخلفيات التي ينتمي إليها الأزواج وعن المصادر التي تمَّ من خلالها إشراكهم في الدراسة).

تقييمات العلاقة

لقد كنَّا مهتمِّين أيضاً بمعرفة الطريقة التي ينظر بها الأزواج إلى العلاقة مع الطرف الآخر في بداية الدراسة لذلك ركَّزنا على أربعة أنواع من المقاييس تقيِّم عدة جوانب متعلِّقة بالزواج وهي: الرضا عن العلاقة الزوجية والارتباط والرعاية والحياة الجنسية. يظهر الجدول 4 -1 متوسط الدرجات في كل مقياسٍ من هذه المقاييس مع أقل درجة وأعلى درجة سجَّلتها الدراسة.

كما يظهر هذا الجدول فإن الأزواج يتفاوتون كثيراً في تقييمهم للعلاقة الزوجية ففي حين كان بعضهم يشعرون بدرجة عالية من الرضا عن العلاقة الزوجية كان بعضهم الآخر مُحبطين وساخطين جداً على هذه العلاقة. إنَّ المقياس الذي استخدمناه (اعتماداً على دليل الرضا الزوجي، سنايدر، 1979) يضمُّ 35 نقطة وكل نقطة لها درجتان إما صفر أو واحد والدرجة الكليَّة هي ببساطة عدد النقاط التي تمَّت الموافقة عليها حيث الدرجة الأعلى تعني رضا أكبر. إن الدرجات تُظهر أنَّ كثيراً من الأزواج وافقوا على معظم النقاط التي تتصف مصادر الشعور بالرضا عن العلاقة الزوجيَّة، لكنَّ إحدى الزوجات لم تتمكَّن من العثور على صفةٍ إيجابيَّةٍ واحدة في علاقتها مع زوجها.

كذلك فإن مقاييس الارتباط والرعاية والحياة الجنسية سجَّلت متوسط درجاتٍ يقع في الجانب الإيجابي من المقياس ولكن ليس في أقصى الجانب الإيجابي. بعبارةٍ أخرى مالَ معظم الأزواجِ إلى وصف علاقتهم الزوجية بشكل إيجابي: لقد بدوا مرتاحين وآمنين فيما يتعلق بمشاعر الطرف الآخر نحوهم وذكروا أن لديهم علاقاتٍ جنسية قويَّة ومُرْضية وأنماطاً بناءةً من الرعاية يقدّمونها للطرف الآخر عند الحاجة.

الجدول 4-1 متوسط درجات ومجالات مقاييس العلاقة الزوجية في المرَّة الأولى

المقياس	الأزواج	الزوجات
الرضا عن العلاقة	30.99 (3-35)	30.94 (0-35)
الارتباط		
القلق من العلاقة	36.62 (14-62)	37.16 (14-65)
الانزعاج بسبب القرب	50.03 (24-83)	45.17 (23-77)
الرعاية		
الرعاية الاستجابية	109.30 (62-144)	114.80 (66-143)
الرعاية القهرية	24.56 (11-43)	25.06 (12-48)
الحياة الجنسية	126.42 (66-162)	133.74 (61-162)
التواصل		
الرغبة	78.29 (41-90)	68.23 (25-90)

- **ملاحظة:** وضعَتْ المجالات الحقيقية بين قوسين. كان المجالُ المتوقَّع للدرجات كما يلي: 0-35 للرضا عن العلاقة، 13-78 للقلق من العلاقة، 16-96 للانزعاج بسبب القرب، 24-144 للرعاية الاستجابية، 8-48 للرعاية القهريَّة، 27-162 للتواصل الجنسي، 15-90 للرغبة الجنسية.

على أي حال تفاوتت الدرجات كثيراً على كُلٍّ مقياسٍ من المقاييس مما يعني أنَّ بعضَ الأزواج كانوا يحملون مشاعر سلبية جداً تجاه الجوانب الأساسية للعلاقة الزوجيَّة.

التلاؤم الشخصي والموارد الشخصيَّة

وأخيراً فقد كنَّا مهتمِّين بمعرفة الكيفية التي كان الأزواج يتقدَّمون بها في مواجهة هذه المرحلة سواءً على صعيد التلاؤم النفسي العام (الاكتئاب، القلق، الشدّة النفسية) أو الموارد (تقدير الذات والدعم الاجتماعي) التي يمكن أن تساعدهم على التلاؤم مع الأوضاع الجديدة. يُظهر الجدول 4-2 متوسط الدرجات في كل مقياسٍ من هذه المقاييس مع أقل درجة وأعلى درجة سجَّلتها الدراسة.

تظهر الدرجاتُ أن الأزواج مالوا إلى تسجيل مستوياتٍ منخفضة تماماً من الاكتئاب والقلق والشَّدة النفسية، لقد أظهروا بشكلٍ عام تلاؤماً نفسيّاً جيِّداً. هذه النتائج ليست غريبة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ هذه المقاييس تُقيِّمُ أعراضاً حادة من الشدَّة النفسية. حتى على هذه المقاييس فقد تفاوتت الدرجات تفاوتاً كبيراً. بالنسبة لموارد التلاؤم مع الشدَّة النفسية فقد أبدى الأزواجُ بشكلٍ عام مستوياتٍ عاليةً نسبياً من تقدير الذات وكانوا يعتقدون أنَّ علاقاتهم المتنوِّعة تزوِّدهم بمستوياتٍ كافيةٍ من الدعم في الوقت نفسه أظهر هذان المقياسان تفاوتاً كبيراً في الدرجات.

الجدول 4-2 متوسط درجات ومجالات مقاييس الموارد الشخصية والتلاؤم الشخصي في المرَّة الأولى		
المقياس	الأزواج	الزوجات
التلاؤم النفسي الاكتئاب	2.25 (0–19)	2.48 (0–21)
القلق	1.28 (0–13)	2.06 (0–17)
الشدة النفسية موارد التلاؤم مع الشدَّة	4.90 (0–20)	5.48 (0–21)
تقدير الذات	78.70 (20–100)	78.25 (32–100)
الدعم الاجتماعي	147.36 (89–198)	157.28 (89–195)

وضِعَتْ المجالات الحقيقية بين قوسين، كان المجال المتوقَّع للدرجات كما يلي:

0-21 لكُلٍّ من الاكتئاب والقلق والشدَّة النفسية و33-198 للدعم الاجتماعي.

أوجه التشابه بين أزواج مجموعة الانتقال وأزواج مجموعة المقارنة

صحيح أنَّ كون العيِّنة التي درسناها متنوِّعة إلى حدٍّ معقول هو أمر مطمئن إلاَّ أنه كان المهمِّ أيضاً أن نحدِّد فيما إذا كانت مجموعتا الأزواج قابلتين للمقارنة مع بعضهما في بداية الدراسة. بعبارةٍ أخرى بما أن دراستنا ركَّزت على المقارنة بين الأزواج في مجموعة الانتقال والأزواج في مجموعة المقارنة فقد كنّا بحاجةٍ إلى التأكُّد من أنَّ هاتين المجموعتين متشابهتان منذ البداية في كل الجوانب المهمَّة. كما ذكرنا

في الفصل الأوَّل إن مجموعات المقارنة مهمَّة جداً في هذا النوع من الدراسات لأنها تساعدنا على تفريق التغيُّرات الناجمة عن إنجاب الطفل الأوَّل عن التغيُّرات الناجمة ببساطة عن طول فترة الزواج وعن التطوُّر الطبيعي للعلاقة بين الزوجين.

في البداية قارنَّا بين المجموعتين على أساس عدَّة مقاييس للخلفية التي جاءَ الأزواج منها: العمر، مدَّة العلاقة، مدَّة الزواج، مدة الفترة التي عاشا فيها معاً، فترات الانفصال في العلاقة، الفترات التي استمرَّت فيها العلاقة بين الطرفين وهما بعيدان عن بعضهما، مستوى التعلُّم، المهنة، الدين. بالنسبة للنساء لم تكن هناك اختلافات بين المجموعتين على الإطلاق. بالنسبة للرجال كانت هناك بعض الاختلافات الضئيلة فقد كانوا في مجموعة المقارنة أرقى تعلُّماً ومهنةً من الرجال في مجموعة الانتقال. هذه الاختلافات الضئيلة تعكس على الأرجح أنماط الدعاية وإشراك الأشخاص في الدراسة. غالباً ما سمع الأزواج في مجموعة المقارنة عن الدراسة من خلال مقالات في الصحف أو عن طريق الدارسين لعلم النفس في حين أن معظم الأزواج في مجموعة الانتقال سمعوا عن الدراسة من خلال المستشفيات العامة. صحيحٌ أننا حاولنا إشراك الأزواج في مجموعة الانتقال من خلال الأطباء النسائيين الخاصِّين إلاَّ أن هذه الاستراتيجية لم تكن ناجمة مثل الدعاية من خلال المستشفيات العامة.

كما قارَّنا أيضاً بين المجموعات من خلال مقاييس الأسئلة التي وُصِفَتْ سابقاً في هذا الفصل وبشكلٍ مفصَّلٍ في الفصل

الثالث أي من خلال مجموعات المتغيِّرات الأربعة (الرضا عن العلاقة والارتباط والرعاية والحياة الجنسية) ومن خلال مقاييس الموارد الشخصية والتلاؤم الشخصي. المجال الوحيد الذي أظهر اختلافاً على المقياس الذي يقيس التواصل الجنسي. لقد كان الأزواج في مجموعة الانتقال أقل رضا عن تواصلهم في الأمور الجنسية من الأزواج في مجموعة المقارنة. على أي حال هذا الاختلاف كان ضئيلاً جداً. إن معدَّل درجات النساء في مجموعة الانتقال كان 124.2 و7.130 على التوالي مقارنة مع 8.128 و137 بالنسبة لمجموعة المقارنة (الدرجات على هذا المقياس يمكن أن تتراوح بين 27 إلى 162).

من المهم أن نلاحظ أن هذا الاختلاف لا يعني أن الحياة الجنسية كانت أقل أهميَّةً عند الأزواج الذين كانوا يتلاءَمون مع فترة الحمل. في الحقيقة إن مستويات الرغبة الجنسية لم تختلف بين المجموعتين. لكن هذا الاختلاف قد يكون ناجماً عن حقيقةِ أن الأزواج في مجموعة الانتقال كانوا أكثر تركيزاً على التواصل حول الموضوعات المتعلقة بحياتهما كتقدم الحمل وخططهما المستقبلية بشأن الطفل.

في النتيجة، إن الأزواج في مجموعتي الانتقال والمقارنة بدؤوا متشابهين كثيرًا في خبراتهم السابقة وتاريخ علاقاتهم وأدائهم سواءً كأفراد أو كأزواج. بعبارة أخرى يمكننا أن نكون واثقين إلى حدٍّ كبير أنَّ أيَّ اختلافاتٍ بين المجموعتين سنجدها فيما بعد في هذه الدراسة سيكون نتيجة لتجربةِ إنجابِ الطفل الأوَّل.

التشابهات والاختلافات بين الرجال والنساء

إن تركيزنا الأساسي في التقييم الأوَّلي كان على التأكُّدِ من التشابه بين مجموعتي الانتقال والمقارنة في معظم النواحي في بداية الدراسة. على أي حال فمن المفيد في وصفِ خبرات الأزواج أن نعرف فيما إذا كانت هناك اختلافات بين الرجال والنساء. في الحقيقة إن هذا الأمر في غاية الأهميَّة إذا أخذنا بعين الاعتبار النظرة الشائعة في أنَّ الرجال قد يكونون مختلفين عن النساء إلى درجةِ أن كلاً منهم جاء من كوكب مختلف! لقد وجدنا في دراستنا تشابهاتٍ واختلافاتٍ في التقارير المتعلقة بالرجال والنساء لكنَّ التشابهات كانت أكثر بروزاً.

التشابهات

لقد تساوى الرجال والنساء في الرضا عن علاقاتهما. انطبقت هذه النتيجة على مجموع الدرجات الكليَّة وعلى درجات مجالات الرضا الأربعة كالوقت المشترك والتواصل لحل المشكلات. تساوى الرجال والنساء أيضاً في مستويات القلق بشأن حب الشريك والتزامه وفي الميل إلى المبالغة في الرعاية (أو الرعاية القهرية) عندما يحتاج الشريك إلى ذلك.

وأخيراً بالنسبة للموارد الشخصية والتلاؤم الشخصي فقد سجَّل الرجال والنساء مستويات متشابهة من تقييم الذات والاكتئاب والشدَّة النفسية.

الاختلافات

بالمقابل كانت هناك اختلافات بين الجنسين في الانزعاج بسبب القرب وفي الرعاية الاستجابية وفي الرغبة الجنسية والتواصل الجنسي وفي الشعور بالقلق وفي الدعم الاجتماعي. (الجدولان 4-1 و4-2 يظهران متوسط الدرجات لكُلٍّ من الجنسين) مقارنةً مع الرجال فإن النساء (بغضِّ النظر عن المجموعة) سجَّلنَ انزعاجاً أقل من الحميمية في علاقاتهنَّ مع أزواجهنَّ. وكان نمط الرعاية عندهن أكثر استجابةً، بعبارة أخرى، لقد كُنَّ أكثر إدراكاً لحاجات ومشكلات الشريك وأكثر استعداداً لمواساته.

سَّجلت النساء أيضاً مستويات أقل من الرغبة الجنسية ولكن كنَّ أكثر رضا من الرجال عن التواصل مع الشريك الآخر فيما يتعلَّق بالأمور الجنسية. وأخيراً سجَّلت النساءُ مستويات أعلى من القلق في حياتهنَّ ولكن كُنَّ يتلقينَ مستويات أعلى من الدعم من علاقاتهنَّ مع شركائهنَّ وأصدقائهن وأفرادِ عائلاتهنَّ. هذه الاختلافات بين الجنسين تتماشى مع نتائج العديد من الدراسات الأخرى فيما يتعلق بأداء الأشخاص فردياً أو في علاقاتهم مع الآخرين ومع الأنماط المعروفة من السلوك في العلاقات. تنطبق هذه الاختلافات بشكل خاص مع النظرةِ إلى النساء على أنهنَّ أكثر من الرجالِ طلباً للحميمية وتلبيةً لحاجات الآخرين وتحمُّلاً للمسؤولية في الحفاظ على علاقات وثيقة مع الآخرين.

في الوقت نفسه أظهرت النتائج بشكلٍ واضح أن درجات الرجال والنساء تطابقت كثيراً في كل المقاييس وأنَّ الاختلافات بين الجنسين كانت ضئيلة.

إبقاء الأزواج في الدراسة

في كل مرَّةٍ يتابعُ فيها الباحثون مجموعةً من الناس مدة طويلةٍ من الزمن لا يخلو الأمر من أنَّ بعضَ المشاركين يتخلَّونَ عن المشاركة. على أي حال يدرك الباحثون أهمية الحفاظ على أكبر عددٍ من المشاركين في العيِّنة التي يدرسونها طوال فترة الدراسة. هناك مشكلتان أساسيتان تنجمان عن انسحاب عددٍ كبيرٍ من المشاركين في دراسةٍ ما.

أولاً: إذا كان عدد الباقين صغيراً جدّاً قد يكون من الصعب تحديد الاختلافات الحقيقية الموجودة بين المجموعات أو التي قد تطرأُ خلال فترةٍ من الزمن.

ثانياً: من المحتمل أن يكون أنماطٌ معيَّنةٌ من الناسِ أكثرَ استعداداً من غيرهم للانسحاب من الدراسة. على سبيل المثال في دراسة حالات الزواج من الممكن أن يجد الأزواجُ غيرُ السعداء إجراءاتِ الدراسة مرهقةً لهم ومن ثمَّ يكونون أكثر استعداداً للانسحاب. إذا أثَّر هذا النمط من الانسحاب على مجموعةٍ أكثر من المجموعة الأخرى فإنَّ المقارنات بين المجموعات تصبح أقل مصداقية. للتقليل من هذه المشكلات يشيع بين الباحثين استخدام عدة طرق لتشجيع الأزواج على البقاء في الدراسة. في هذه الدراسة أكَّدنا للأزواج الذين يمرُّون في مرحلة الانتقال إلى الأبوَّة أو الأمومة أنهم هم الخبراء، أي أنهم هم الذين يمرُّون بالخبرات المتعلِّقة بهذا الموضوع وأننا نحتاج إلى ملاحظاتهم ونُقَدِّرها في كل

مرحلة من مراحل الانتقال. كذلك حاولنا قدر المستطاع أن يجري الشخصُ نَفْسُه المقابلاتِ مع كل زوجٍ من الأزواج لكي يبني الأُلْفَة ويحافظَ على الشعور بالمشاركة.

وأخيراً: حافظنا على اتصالنا مع الأزواج بين مراحل التقييم بإرسال بطاقاتِ تهنئة لهم في عيدِ زواجهم وعند ولادةِ طفلهم.

نسبة الانسحاب من الدراسة

إن النسبة الكلية للانسحاب من الدراسة في مجموعة الانتقال كانت مقاربة لنسبة الانسحاب في مجموعة المقارنة. على سبيل المثال من بين 107 من الأزواج الذين شاركوا في مجموعة الانتقال تمَّت مقابلة 92 زوجاً في المرحلة الثانية (بعد 6 أسابيع من ولادة الطفل) كذلك من بين 100 من الأزواج الذين شاركوا في مجموعة المقارنة تمَّت مقابلة 85 زوجاً في المرحلة الثانية. في مرحلة القياس الأخير التي جَرَتْ عند بلوغ الأطفال ستة أشهر من العمر بقيَ 76 زوجاً في مجموعة الانتقال و74 زوجاً في مجموعة المقارنة. إن نسب الانسحاب هذه نموذجية في الدراسات التي يتمُّ فيها تقييم الأزواج لفترةٍ طويلةٍ من الزمن.

أسباب الانسحاب

إن السبب الأساسي وراء عدم الاستمرار في المشاركة في الدراسة هو انتقال الأزواج إلى منزلٍ آخر دون تزويدنا بالعنوان الجديد هذا الأمر ليس غريباً عندما تتضمَّنُ الدراسةُ أزواجاً يمرُّون في مرحلةٍ انتقاليَّة مهمَّة لأن تغيير مكان السكن غالباً ما يحدث في هذه الأوقات.

السبب الآخر للانسحاب كان حَملُ سبع نساء من مجموعة المقارنة خلال فترة الدراسة هؤلاء الأزواج تمَّت دعوتهم للانضمام إلى مجموعة الانتقال (اثنان من الأزواج انطبق عليهما هذا التصنيف). هناك عدَّة أزواج ذكروا أنَّ ظروفهم كانت تسبب الكثيرَ من الشدَّةِ النفسيَّةِ لهم بحيثُ لم يكونوا قادرين على متابعة المشاركة. ضمَّت هذه المجموعة زوجانِ وُلِدَ طفلهما بشكلٍ مبكِّر قبل أسابيع من وقت الولادة الطبيعي وكانا مُنْشَغِلين تماماً بالحفاظِ على حياته. كما كانت هناك مجموعة صغيرة من الأزواج الذين لم يعودوا مناسبين للدراسة فإحدى النساء في مجموعة الانتقال أُجهضت في حين أنَّ أربعة أزواج في مجموعة المقارنة انفصلوا عن بعضهم خلال فترة الدراسة.

توقع الانسحاب من الدراسة

لكي نعرف فيما إذا كانت أنماط معيَّنة من الأزواج عُرضةً للانسحاب من الدراسة أكثر من غيرها، قارنّا الأزواج الذين انسحبوا مع أولئك الذين بقوا وذلك بالنظرِ إلى كل المقاييس التي أكملوها في التقييم الأوَّل (المعلومات المتعلِّقة بالخلفية وكل المقاييس عن الأداء الشخصي وفي العلاقات مع الآخرين). من بين العوامل التسعة المتعلِّقة بالخلفية، كان مستوى التعلم فقط هو المرتبط بالميل إلى الانسحاب فالذين كانوا يتمتَّعون بمستويات أقل من التعلُّم كانوا أكثر استعداداً للانسحاب من غيرهم. ربما لأن المشاركين الذين تابعوا الدراسة إلى ما بعد المرحلة الثانوية كانوا أكثر أُلْفةً مع إجراءات البحث وأكثر إدراكاً لأهمية الاستمرار فيه.

كذلك من بين المقاييس المتعلِّقة بالأداء الشخصي والأداء على مستوى العلاقات مع الآخرين كان الشعور بالرضا عن العلاقة فقط هو المرتبط بالميل إلى الانسحاب من الدراسة.

هذا التأثير انطبق على الشعور بالرضا بشكلٍ عام في مجموعة المقارنة ولكنه لم ينطبق إلاَّ على شعور الرجال بالرضا فيما يتعلَّق بالتواصل في مجموعة الانتقال، بعبارةٍ أخرى إن الأزواج الذين انسحبوا من الدراسة من مجموعة المقارنة سجَّلوا على مقياس الشعور بالرضا بشكلٍ عام درجاتٍ أقل بقليل من بقية الأزواج في المجموعة، في حين أن الرجال في الأزواج الذين انسحبوا من مجموعة الانتقال سجَّلوا على مقياسي التواصل العاطفي والتواصل لحل المشكلات درجاتٍ أقل بقليل من الرجال في بقيَّةِ المجموعة. كما ذكرنا سابقاً إن ميل الأزواج الأقل شعوراً بالسعادة إلى الانسحاب من البحث يعكس انزعاجهم من إجراءات البحث وعدم رغبتهم في تعريض علاقاتهم إلى مزيد من التقصِّي.

خلاصة

مقارنةً مع العديد من الدراسات عن إنجاب الطفل الأوَّل فإنَّ العينة التي درسناها تُعد عيِّنة واسعة. على الرغم من أنَّ الأزواج كانوا من خلفيات أنغلو- أوروبيِّة بشكل رئيس إلا أن العينة ضمَّت طيفاً واسعاً من الأعمار وطول فترة العلاقة. كما أن تاريخ العلاقة بين الأزواج كان متنوِّعاً (فيما يتعلق بأنماط السكن المُشْتَرك والعلاقة عن بُعْد وفترات الانفصال في العلاقة) وقد مثَّلَتْ العينة

طيفاً من مستويات التعلُّم والمهن. كان واضحاً من المقاييس التي تقيِّم العلاقة بين الأزواج أن بعض الأزواج شعروا بكثيرٍ من الأمن والرضا عن علاقتهم الزوجيَّة في حين أنَّ أزواجاً آخرين شعروا بانعدام الأمن والرضا عن هذه العلاقة. كذلك بدا بعض الأزواج مهيَّئين جيِّداً للتلاؤم مع الظروف المسبِّبة للشدَّة النفسيَّة في حين أن أزواجًا آخرين بَدَوا أقلَّ تحمُّلاً لهذه الظروف. إن وجود هذا التنوع في العينة هو أمرٌ ضروري لكي نضمن أن نتائج الدراسة مرتبطة بالأزواج بشكلٍ عام.

إن مجموعتي الانتقال والمقارنة كانتا متشابهتين بشكل عام في بداية الدراسة وأنَّ معدَّل الانسحاب من الدراسة كان متشابهاً بين المجموعتين. إضافة إلى ذلك فإنَّ العوامل التي أثَّرت على القابليَّة للانسحاب كانت واحدة في المجموعتين والاختلافات التي لاحظناها بين من بقوا في الدراسة ومن تركوها كانت قليلة جدَّاً.

هذه النتائج زادت من ثقتنا بمصداقية المقارنات التي عقدناها بين مجموعتي الأزواج طوال فترة من الزمن ومن مصداقية الاستنتاجات التي وصلنا إليها في هذا الكتاب عن العوامل التي تؤثِّر على الانتقال إلى مرحلة الأبوَّة أو الأمومة.